المجاز والعقل بين البلاغة العربيّة والمعرفيّة الغربيّة

The metaphor and mind : between Arabic rhetoric and western cognition

سعداوي حبيبة شيماء*

مخبر التمثلات الفكرية والثقافية: إبداع، تواصل، نقد جامعة مولود معمري– تيزي وزو

habibachaima.sadaoui@ummto.dz

لعداوي نسيمة

جامعة مولود معمري– تيزي وزو

nassima.ladaoui@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2024/08/04 تاريخ القبول 2024/10/25 تاريخ النشر 2024/12/17

ملخص:

تركّز الدّراسات المعاصرة في طروحاتها حول المجاز على الكيفية الّتي تتشكّل بها هذه المجازات في الذّهن على اعتبارها نسق حياة، وهذا ما جعل المجازات نمطا للعيش والتفكير، لا زخرفا لفظيا وتنميقا مرتبطا بالشعر، ليحاجج المنظرون الغربيون في دراساتهم حول المجاز بأن معارفنا تنبني بطريقة منوالية مؤمثلة أي مجموعة السّمات النمطية المجردة الّتي تبني التصورات المعرفية للفكر البشري حول المواضيع الأكثر تجريدا، إذ أنّ معظم المفاهيم المجردة تكون مجالات مصدريّة نقوم بإسقاطها على مجالات هدف بغية الوصول إلى معان أكثر ماديّة، ويحصل بذلك الفهم الأوسع للمفاهيم المجردة وفق هذه التأطيرات، في حين يذهب البلاغيون العرب في دراستهم للمجاز العقلي إلى الفصل بينه وبين المجاز اللغويّ، فالمجاز العقليّ حسبهم يرتسم وفق الفهم العقليّ وليس من النسق اللغويّ نفسه،

* المؤلف المراسل

لأن الإسناد الذي هو الركيزة الأساسيّة في المجاز العقليّ تعود استكناهاته إلى واضع اللّغة لا إلى اللّغة في حد ذاتها ومن ذلك تذهب طروحاتنا إلى استشفاف العلاقة بين هذين المجازين الذهنيين، ومواضع التّشابه والاختلاف بينهما من خلال الفهم العربيّ والفهم الغربيّ.

الكلمات المفتاحية: المجاز اللغوي، المجاز العقلي، الذهن، المعرفية، الادراك، العقل.

***Abstract**:* Contemporary studies focus on their theses. About metaphor on how these metaphors are formed in the mind As a way of life. This is what made metaphors a way of living and thinking.

No verbal embellishment and retouching related to hair To argue, Western theorists in their studies on metaphor that our knowledge is built in a linear manner an idealization is the set of abstract stereotypical features that build the cognitive perceptions of human thought.

On more abstract topics Since most abstract concepts are source domains We project them onto target areas in order to reach more material meanings .Thus a broader understanding of abstract concepts is achieved according to these framings. While Arab rhetoricians in their study of mental metaphor separate it from linguistic metaphor. The mental metaphor is according to their interpretation. It is drawn according to rational understanding and not from the linguistic system It self Because attribution is the basic foundation of mental metaphors Return His appeals to the creator of the language, not to the language itself, and from that, the propositions go to explore the relationship between these two metaphors. Mentalists and the similarities and differences between them through arab understanding and Western understanding.

Key words: Linguistic metaphor, mental metaphor, Cognitive mindfulness, Cognition, mind.

***key words**:* Linguistic metaphor, mental metaphor, Cognitive mindfulness, Cognition, mind

مقدّمة:

قسّم علماء اللّغة العرب المجاز إلى نوعين أساسيين: المجاز اللّغويّ والمجاز العقليّ. المجاز اللغويّ، كما بيّن الجرجاني، يعتمد على الإثبات اللغويّ حيث تكون الكلمات مثبتة في

موقعها، بينما يعتمد المجاز العقليّ على العقل في إثبات العلاقات والصِلات بين المفاهيم. العقل هنا هو الذي يقيم الرّوابط بين الأفكار، مما يشكل نقطة اشتراك بين المجاز العربيّ القديم والمجاز الغربيّ المعاصر. المجاز الغربيّ، وفقاً للطّروحات الغربيّة، يتبنى أبعاداً تجريبيّة تشمل التجارب العاطفيّة والاجتماعيّة والثقافيّة. هذه الأبعاد التجريبيّة تُكوّن الأنسقة التصوريّة الّتي تسهل الفهم، وتحدد القيود للبنيات التصوريّة الممكنة لدى البشر، مما يجعل النسق البشريّ التصوريّ محدداً استعاريّاً. في هذا السياق، ترتبط الاستعارة بالتصور ذاته، حيث يراها البلاغيون المعاصرون جزئيّة وليست كليّة، إذ إن التصورات هي تضمينات وليست تطابقات بين مجالين مختلفين.

لا يختلف المجاز العقليّ الغربيّ كثيراً عن نظيره العربيّ في كيفية تأويله، إذ يعتمد كلاهما على إسناد الفعل والظروف المحيطة به، مثل الفاعل والمفعول به والزمان والمكان والمصدر والسبب. هذا التّرابط يعكس الأبعاد التصورية للمجازات العقليّة والمعرفيّة، مما يجعلها ذات بناءات أولية متشابكة تستند إلى التجربة والأفعال.

سنركز في إطار هذه الدراسة، على إشكاليّة أساسيّة ألا وهي معالم التشابه والاختلاف بين المجازات العقليّة العربيّة والمجازات المعرفيّة الغربيّة، وهذا ما يحيلنا الى تفريعاتها فمن خلال التركيز على النظريّة المعرفيّة المعاصرة والمقارنات بين الفهمين وباعتمادنا على منهج مقارن وفق أطر النظرية المعرفيّة المعاصرة.

سنسلط الضوء على دور الاستعارة في بناء المعرفة، والتشكيلات التجريبيّة والأبعاد التصورية التي تكمن وراء المجازات العقلية العربية والمجازات المعرفيّة الغربيّة، ونبحث في مكامن التشابه والاختلاف بين النظريتين المعاصرة والتراثية.

الأهداف المرجوة تشمل الوصول إلى فهم شامل للمرتكزات المعرفية لكل من المجاز العربي والمجاز الغربي. والتقسيمات الغربيّة للاستعارات – مثل استعارات الاتجاه والكيان والمادة والاستعارات التشخيصية – الّتي تُظهر ترابطاً واضحاً مع العلاقات الإسنادية التي

يصنف بها المجاز العقلي العربي، مثل الزمان والمكان وغيرها. هذا الترابط يُظهر كيف أن كلّاً من المجازين العربي والغربي يساهمان في تشكيل الفهم البشري للعالم من خلال استخدام الاستعارة كأداة معرفية.

المبحث الأول

تأطيرات البلاغة العربيّة للمجاز:

يُعتبر المجاز عنصراً محورياًّ في البلاغة العربيّة، حيث يُضفي طابعاً جمالياً ورمزياً على النّصوص من خلال انزياح الألفاظ عن معانيها التقليّدية إلى سياقات أكثر إبداعاً وجماليّة. هذا الانزياح يسمح للألفاظ بتقديم دلالات ملموسة تقرّب المجرد إلى الفهم، شرط وجود قرينة تمنع من استخدام المعنى الحقيقيّ. يتنوع المجاز وفق العلاقات الدلاليّة التّي تربط بين المعاني الحقيقية والمجازية، مثل العلاقات السببيّة والزمنيّة والمكانيّة، أو تلك المرتبطة بالتشابه والتلازم، مما يعمق طبقات المعاني ويجعل الأسلوب سلساً ومنمقاً وجذاباً، فيجعل عملية التلقي أكثر فعاليّة من خلال فك التشفير اللّغوي. القدرة على استخدام الألفاظ كأدوات تعبيريّة متعددة الطبقات تضفي على النصوص قوّة تعبيريّة جاذبة، قادرة على ملامسة مشاعر القارئ وإثارة خياله، مما يجعل المجاز عنصراً أساسياً في فنون البيان، يمكّن اللغة من حمل دلالات أوسع وأعمق، ونقل المعاني بشكل مبتكر.

المطلب الأول: استشفافات الحقيقيّ والمجازيّ:

اهتم اللغويون في دراساتهم التراثية بالعلاقة المعقدة بين الحقيقة والمجاز، وكان الجاحظ من بين الأوائل الذين خاضوا في هذا الموضوع بأسلوب تفصيلي، مستخدماً أمثلة متنوعة من الشعر والنثر لتوضيح مقصده

الفرع الأول: مناقشات الجاحظ:

أشار الجاحظ إلى أن الفهم يعتمد بشكل كبير على السياق، موضحاً: "إذا قالوا: أكله الأسد، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف الذي نعرفه جميعاً، ولكن إذا قالوا: أكله

الأسود، فإنما يعنون النهش واللدغ والعض فقط، وليس الأكل بمعناه الحرفي»[1] ويستشهد الجاحظ بالآية القرآنية: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، والتي تعني الغيبة والنميمة، وهو معنى مجازي للأكل يعبر عن الضرر الناجم عن الكلام السلبي عن الآخرين. ويقول أيضاً: "فلان يأكل النّاس وإن لم يأكل من طعامهم شيئاً"، في إشارة إلى استغلال الأشخاص للآخرين بطرق غير مادية. أما قول دهمان الفهري: "شرب الدهر عليهم وأكل"، فهو استعارة مكنية تشبه الدهر بإنسان يأكل ويشرب

من خلال هذه الأمثلة، يوضح الجاحظ أن فعل "الأكل" يختلف معناه باختلاف السياقات المستخدمة فيه. فالمعنى الحقيقي للأكل يتركز على الفعل المادي الذي تقوم به الكائنات الحية لإسكات غريزة الجوع، بينما المعنى المجازي يتشكّل من خلال الرمزيّة والانزياح عن السّياق المادي للفعل، مستخدماً تشبيهات معنويّة لتوضيح معان جديدة.

الفرع الثاني: رؤى ابن قتيبة الجرجاني والقزويني:

كتب ابن قتيبة عن الحقيقة والمجاز في سياق الرد على منكري المجاز، موضحاً أن المجاز ليس كذباً، وإلا لكان معظم كلامنا باطلاً. واستشهد بأمثلة مثل: «نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السعر..»[2] وبيّن أن استخدام كلمة "كان" بالنسبة لله تعالى لا تعني حدوث الشيء بل تواجد الله قبل كل شيء. كما أشار إلى الآية القرآنية: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾، ليبرز أنّ المجاز يُستخدم لفهم المعاني بطرق غير مباشرة، مؤكّداً أن فعل الانهيار يُنسب للجدار على سبيل المجاز. وأوضح أنّ اللّغات الأجنبيّة قد لا تتيح نفس السهولة في استخدام المجاز كما في اللّغة العربيّة، مما يجعل المجاز جزءاً لا يتجزأ من اللّغة العربيّة.

يرى الجرجاني أن التمييز بين الحقيقة والمجاز يتطلّب البحث في الإثبات والتدقيق في تفاصيله. يُحاجج الجرجاني بأنه «إذا قد تقررت هذه المسائل فينبغي أن تعلم أن من حقك إذا أردت أن تقضي في الجملة بمجاز أو حقيقة أن تنظر إليها من جهتين:

إحداهما: أن تنظر إلى ما وقع بها من الإثبات أهو في حقه وموضعه أم قد زال عن الموضع الذي ينبغي أن يكون فيه؟ ثانيهما: أن تنظر إلى المعنى المثبت أعني ما وقع عليه الإثبات كالحياة في "أَحْيَا اللهُ زَيْدًا"، والشيب في قولك "أشاب الله رأسي"، أهو ثابت على الحقيقة أم قد عُدل به عنها. وإذا مثل لك دخول المجاز على الجملة الطريقتين فقد عرفت إثباتها على الحقيقة منهما، فمثال ما دخله المجاز من جهة الإثبات دون المثبت قوله: "والشيب أيام الفراق مفارقي وأنشزن نفسي فوق حين تكون"، وقوله "أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشي"»[3]. من خلال هذا الطرح، يقصد الجرجاني الملاءمة السياقية، موضحاً أنه يجب التأكد من وفاة زيد قبل أن يتم إحياؤه، حيث يستلزم الفعل "أحيا" وفاة سابقة له، وعدم وفاة زيد يجعل الفعل غير متناسب مع السياق ولا منطقية فيه. لذا، فإن التعبير الحقيقي يتطلب فهماً محكماً للفعل المستخدم في الجملة، وكذلك مدى قابلية التطابق بين حالة المفعول به وسياق الفعل، ومنطقيّة التركيب وهذا ما يتعلق بجهة الإثبات. أما ما يتعلق بجهة المعنى المثبت، فقد استخدم مثال "أشاب الله رأسي"، مشيراً إلى المعنى الدلالي للفعل، هل هو مستقر في الحقيقة أم منزاح عنها؟ في مثال "أشاب الله رأسي"، هل المقصود أن الشيب تخلل الشعر حقيقة، أم أن التأثيرات الزمنية والمعاناة جعلت المرء يهرم قبل أوانه؟

أما الخطيب القزويني، فيعرف المجاز بأنه «مفعل من جاز المكان يجوزه، إذا تعداه، أي تعدت موضعها الأصلي، وفيه نظر. والظاهر أنه في قولهم "جعلت كذا مجازاً إلى حاجتي" أي: طريقاً له، على أن معنى (جاز المكان) سلكه على ما فسره الجوهري وغيره، فإن المجاز طريق إلى تصور معناه. واعتبار التناسب في التسمية يغاير اعتبار المعنى في الوصف، كتسمية إنسان له حمرة بأحمر، ووصفه بأحمر، فإن الأول لترجيح الاسم على غيره حال وضعه له، والثاني لصحة إطلاقه، فلا يصح نقص الأول بوجود المعنى في غير المسمى كما يلهج به بعض الضعفاء. المجاز ضربان: مرسل واستعارة، لأن العلاقة

المصححة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلا فهو مرسل. وكثيراً ما تطلق الاستعارة على استعمال المشبه به في المشبه، فيسمى المشبه به مستعاراً منه، والمشبه مستعاراً له، واللفظ مستعاراً»[4] بذلك، يرجح القزويني أن المجاز هو نوع من التصوير أكثر من كونه انزياحاً عن المعاني، فهو نوع من تصور محدث للمعاني حسب ما يذهب إليه الجوهري. ينفي القزويني وجود نقص في صحة التسمية إذا كان المعنى في غير المسمى، مشيراً إلى أن التسمية تعتمد على التمييز والتناسب، بينما الوصف يعتمد على دقة الملاحظة وصحة الصفة. في حين أن تسمية شخص تتخلله حمرة بـ"أحمر" يعتمد على ترجيح الاسم، فإن نعته بـ"أحمر" يعتمد على صحة إطلاق الصفة عليه. لذلك، يرى القزويني أن المجاز هو طريق للتصور، ويفرق بين المجاز المرسل والاستعارة. المجاز المرسل يُستخدم فيه الكلام بمعناه الحرفي ولكنه ينقل دلالة مختلفة عن المعنى المتداول، بينما الاستعارة تعتمد على المشابهة أو المقارنة بين دلالتين، حيث يُستخدم اللفظ للدلالة على معنى غير مباشر يشبه أو يرتبط بالمعنى الأصلي.

يتجلى الفارق الأساسي بين الحقيقة والمجاز في كيفية استخدام الكلمات ومعانيها. الحقيقة ترتكز على الاستخدام المباشر والدقيق للكلمة، بينما المجاز يعتمد على الاستخدام غير المباشر والرمزي لخلق تأثير أعمق أو لتوضيح فكرة بطريقة إبداعية.

المطلب الثاني: الفروقات المجازيّة العقليّة واللغويّة:

قسّم العلماء المجازات إلى لغويّة وعقليّة، وذلك عائد إما إلى التركيب ووضع الجمل، ما يعرّج عليه بأنه مجاز لغويّ، وما يستشف عن طريق السياق والذي ينظر إليه على أنه مجاز عقليّ، وهذا ما قام بتصنيفه كل من الجرجاني والسكاكي

الفرع الأول: تقسيمات الجرجاني للمجاز:

قام العلماء بتوضيح الفرق بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي، وقسّموا المجاز إلى نوعين رئيسيين. عندما تُستخدم الكلمة في موضعها الأصلي ويتم استنباط المعنى المجازي من

خلال التركيب، يُسمّى ذلك بالمجاز اللغوي. وقد بيّن الجرجاني هذا بقوله: «اعلم أن المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللغة ومجاز من طريق المعنى والمعقول. فإذا وصفنا بالمجاز الكلمة المفردة، كقولنا: اليد مجاز في النعمة، والأسد مجاز في الإنسان وكل ما ليس بالسبع، كان حكماً أجريناه على ما جرى عليه من طريق اللغة، لأنّا أردنا أن المتكلم قد جاز باللفظة عن أصلها الذي وقعت له ابتداءً في اللغة وأوقعها على غير ذلك، إما تشبيهاً أو لصلة وملابسة بين ما نقلها إليه وما نقلها عنه»[5]. فعلى سبيل المثال، تُستخدم كلمة "اليد" أحياناً مجازاً لتعني "النعمة"، كما في قول عروة بن مسعود الثقفي لأبي بكر الصديق أثناء صلح الحديبية عندما نهره أبو بكر، فقال عروة بن مسعود: "من هذا؟ قال: هذا أبو بكر، فقال: لولا يد لم أجزك بها لأجبتك"، أي: لولا نعمة»[6] أما المثال الثاني فهو في قوله: "فلان كالأسد في الشجاعة"، حيث تُعتبر هذه الأمثلة مجازاً لغوياً لأن اللفظة استُخدمت في غير معناها الأصلي بشكل مجازي.

المجاز العقليّ، كما يعرّفه الجرجاني، هو استخدام الجملة بشكل مجازي من خلال المعقول والمنطق، وليس من خلال اللغة بحد ذاتها. يقول الجرجاني: «إذا وصفنا الجملة بالمجاز، فإن ذلك يكون من طريق المعقول، لأن الأوصاف التي تلحق الجمل لا يمكن ردها إلى اللغة نفسها ولا نسبتها إلى واضع اللغة، إذ إن التأليف هو إسناد فعل إلى اسم أو اسم إلى اسم، وهذا يحدث بقصد المتكلم. فلا يُعتبر قول "ضرب زيد" خبراً عن زيد بناءً على وضع اللغة، بل بناءً على نية المتكلم في إثبات الفعل له. وبالمثل، فإن عبارة "ليضرب زيد" لا تكون أمراً موجهاً لزيد باللغة، ولا كلمة "أضرب" تكون أمراً للشخص المخاطب إلا وفق نية المتكلم. فاللغة تهدف إلى إثبات الفعل بحد ذاته، مثل "ضرب" لإثبات الضرب، وليس لإثبات الخروج، وإلى تحديد الزمن سواء كان في الماضي أو المستقبل. أما تعيين من يُسند إليه الفعل فيعتمد على من أراد ذلك من المتحدثين الذين يعبرون عن نواياهم ومقاصدهم، سواء كانت صادقة أو كاذبة، مُحققة أو مُحرفة عن

الحقيقة، ومطلقة حسب ما تتيحه العقول وتحدده، أو مُحرفة عن نمطها المعتاد لتأخذ مكانها في الخيال والتأويل»[7]

يوضح هذا الشرح دور السياق في الجملة، مبيناً أن المجاز في هذه الجمل ينشأ نتيجة تفسيرات ومبرهنات العقل والمنطق، وليس نتيجة التركيب اللفظي. وبهذا يكون التفسير والتأويل عن طريق المعقول والمنطق، لا عن طريق قواعد اللغة، مما يجعل التفسيرات تعتمد على المنظورات الشخصية أكثر من اللغة ذاتها. ويكون الإسناد من فعل إلى اسم، ومن اسم إلى اسم، وتعتمد القصديّة على المتكلم. مثلاً، في جملة "ضرب زيد"، تكون الجملة خبرية بفعل قصد المتكلم لإثبات أن زيداً قام بالضرب، وذلك نتيجة لنية المتكلم. وهذا ينطبق أيضاً على الجملة الأمرية، ففي جملة "ليضرب زيد" لا يكون الأمر بليغاً في حد ذاته كتركيب، بل يتطلب نية المتكلم في إعطاء الأمر بالضرب. وبهذا تكون الدوافع لقواعد اللغة هي المحدد الأساسي للدلالات والأزمنة، كما أن الخيال والتأويل يسمحان للعقل بتجاوز بساطة الحقيقة.

الفرع الثاني: استفاضات السكاكي:

يعرض السكاكي تحليلاً دقيقاً لتمييز المفاهيم بين المجاز العقلي، الذي يطلق عليه اسم "الحكمي"، والمجاز اللغوي. يُعرف المجاز العقلي بأنه تقنية تأويلية تنحرف بالكلام عن الحكم المفترض أو القائم عند المتحدث، حيث لا يُعزى هذا الانحراف إلى التأسيس اللغوي بل إلى طريقة التفسير. يُوضح السكاكي هذا الأمر من خلال أمثلة مثل "أنبت الربيع البقل" و"شفى الطبيب المريض"، وغيرها، حيث تُفهم هذه الجمل على أن الفاعلية المنسوبة فيها لا تُعزى مباشرة إلى الفاعلين المذكورين. ويشير إلى أن استخدام "خلاف ما عند المتكلمين" بدلاً من "خلاف ما عند العقل" يستبعد الخطأ المنطقي الذي قد ينتج من الافتراضات الخاطئة كما في تصور الدهريين. إضافة إلى ذلك، يبين السكاكي أن هذا النوع من المجاز لا يُطبق على عبارات مثل "أشاب الصغير" أو "أفنى الكبير" إلا إذا كان

هناك دليل قوي أو اعتقاد مسبق بأن المتحدث يعبر عن هذه الأفكار بناءً على قناعات محددة، مؤكداً على أن الفروق بين المعنى الظاهري والمعنى المضمر تلعب دوراً رئيسياً في فهم وتطبيق المجاز العقلي.[8]

يستشهد السكاكي بعدة أمثلة لتوضيح ذلك، مثل عبارة "أنبت الربيع البقل"، حيث يُسند فعل الإنبات إلى الربيع، رغم أن الربيع ليس هو العامل الفعلي الوحيد في إنبات البقل، وإنما تتداخل عدة عوامل طبيعية وبشرية في ذلك. ويقدم أمثلة أخرى مثل "شفى الطبيب المريض"، حيث إن الشفاء بيد الله، والطبيب مجرد سبب، و"كسا الخليفة الكعبة"، حيث الخليفة لم يكس الكعبة بنفسه بل أصدر الأمر بذلك، و"هزم الأمير الجند"، حيث الأمير قائد ولكن الفعل تم بجهود الجنود، و"بنى الوزير القصر"، حيث الوزير يشرف على البناء ولكن الفعل يتم بواسطة العمال. يعتمد المجاز العقلي على فهم السياق من قبل المتكلم والمستمع، مشيراً إلى أن قول الدهري أو الجاهل "إنبات الربيع للبقل" لا يعد مجازاً بل خطأ عقلياً. وعبارات مثل "أشاب الصغير" و"أفنى الكبير" تُفهم مجازاً ضمن الأطر العقلية والمعرفية للسياق.

يقدم السكاكي تحليلاً معمقاً للمجاز اللغوي، مستنداً إلى مفاهيم أساسية تنبثق من التقاليد اللغوية للسلف، رحمهم الله. يوضح أن المجاز اللغوي ينطوي على نقل الكلمة من حكمها الأصلي إلى حكم مختلف بناءً على التركيب اللغوي. يأتي هذا النقل كنتيجة لحذف أو إضافة كلمات معينة في الجملة، مما يغير الحركة النحوية للكلمة من رفع إلى نصب أو جر، مثلما يُلاحظ في الأمثلة القرآنية التي قدمها مثل: "علت كلمته" (وجاء ربك)"، حيث الأصل هو "جاء أمر ربك"، وكذلك في "(اسأل القرية) " حيث الأصل هو "اسأل أهل القرية". يشدد السكاكي على أن الحركة النحوية للكلمة تعدل بناءً على ما يُعتبر ضرورياً من الناحية اللغوية، كاستخدام الكاف في "ليس كمثله شيء" أو الباء في عبارات مثل "بحسبك أن تفعل كذا." يُعد المجاز اللغوي، حسب رأي السكاكي، مجالاً

يشابه المجاز في كونه يحيد عن المعنى الأصلي إلى تفسير آخر،[9] وهو ما يعكس العمق الذي يمكن أن تصل إليه اللغة في توصيل المعاني غير المباشرة. يتميز هذا النوع من المجاز بأنه يدور حول تغييرات دقيقة في الحركات النحوية التي تؤثر بشكل مباشر على تفسير النص وتعطي للكلام طبقات معنوية متعددة.

ويعطي أمثلة من القرآن الكريم، مثل قوله تعالى: ﴿وجاء ربُك﴾، ويوضح أن أصل الكلمة "جاء أمر ربك"، وبتغيير حركة كلمة "ربك" وجعلها مرفوعة بدلاً من الجر، يصبح المعنى مجازياً. ومثال آخر في قوله تعالى: ﴿اسأل القرية﴾، حيث يوضح السكاكي أن أصل الكلمة هو "اسأل أهل القرية"، وأن تغيير حركة لفظة "القرية" بالنصب بدلاً من الجر جعل المعنى مجازياً. ويشير أيضاً إلى التحولات الناتجة عن الحذف والإضافة في التركيب، مثل الكاف في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾، حيث تضاف للدلالة على الشبه، والأصل هو "ليس شيء مثل الله"، فحذف كلمة "مثل" أدى إلى استخدام الكاف لنفس الغرض. وكذلك استخدام الباء في "بحسبك أن تفعل كذا"، لإبراز معنى الاكتفاء، والأصل هو "يكفيك أن تفعل كذا". ويستخدم الباء في "كفى بالله" للكفاية والاعتماد، والأصل هو "يكفيك الله". ويختتم السكاكي بأن هذه التحولات يمكن أن تُعد ملحقة بالمجاز.

يمكن القول إن المجاز اللغوي يعتمد على استخدام الكلمات في غير معناها الأصلي بناءً على العلاقات اللفظية، في حين أن المجاز العقلي يعتمد على استخدام الجمل بشكل ينزاح بالدلالة عن معناها الحقيقي بناءً على التأويل العقلي والمنطقي. كلا النوعين يسهمان في إثراء اللغة وتوسيع دلالاتها من خلال التأويل والتشبيه والنقل من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي.

المطلب الثالث: التنميط العقلي للمجاز:

المجاز العقلي هو توظيف اللفظ عن طريق إسناده إلى غير معناه الأصلي، مع ترك قرينة دالة لتقريب المعنى وتوضيحه. يمكن أن يكون الإسناد في الفعل أو في المعنى (من اسم فاعل، أو اسم مفعول، أو مصدر).

الفرع الأول: تقسيماته الأوليّة:

عرفه الزمخشري بقوله: «أن يُسند الفعل إلى شيء يلتبس بالذي هو في الحقيقة» [10]

تشترك كتب البلاغة في عدّها لستّ علاقات في المجاز العقلي وهي: مصدريّة، مفعوليّة، فاعليّة، زمانيّة، مكانيّة، وهي كتب أشار إليها القزويني في كتابه "تلخيص الإيضاح"، وتابعه في ذلك جمهور البلاغيين [11]وبذلك يوضح جمهور البلاغيين أنّ أشهر علاقات المجاز العقلي هي:

أ. **الخلفيات الزمنية:** كما في قولهم: «من سره زمن ساءته أزمان» حيث أُسنِدت الإساءة والسرور إلى الزمن، وهو لم يفعلهما، بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز.

ب. **الخلفيات المكانية:** كما في قوله تعالى: «وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم» فقد أُسنِد الجري إلى الأنهار، وهي أمكنة للمياه، وليست هي الجارية بل ماؤها هو الجاري.

ج. **السببية**: كما في قولهم: "إني لمن معشر أفنى أوائلهم، قيل الكماة: ألا أين المحامونا؟" فقد نُسِب الإفناء إلى قول الشجعان "هل من مبارز؟" وليس ذلك القول بفاعل له، وإنما هو السبب فقط.

د. **المصدريّة:** كما في قول أبي فراس الحمداني:

"سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم

وفي اللّيلة الظلماء يفتقد البدر"

فقد أُسنِد الجِدّ (أي الاجتهاد) وهو ليس بفاعل له، بل فاعله الجاد. فالأصل هو "جِدّ الجاد جِدّاً"، أي اجتهد اجتهاداً، فحُذِف الفاعل الأصليّ وهو الجاد، وأُسنِد الفعل إلى الجِدّ.

هـ. إسناد ما بُني للفاعل إلى المفعول: كما في قولهم: "سرني حديث الوامق" فقد استُعمِل اسم الفاعل (الوامق) أي المحب، بدلاً من المموق، أي المحبوب. فإنّ المراد هو سرور المتحدث بمحادثة المحبوب.

ز. إسناد ما بُني للمفعول إلى الفاعل: كما في قوله تعالى: "جعلت بيني وبينك حجاباً مستوراً" أي ساتراً، فقد جُعِل الحجاب مستوراً مع أنّه هو الساتر[12]

الفرع الثاني: إضافات الزمخشري:

العلاقة الأخرى التي أشار إليها الزمخشري هي علاقة الاختصاص. يشرح ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾. يسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم، بينما الله هو المقدّر الحقيقي، مشيرين بذلك إلى قربهم واختصاصهم بالله.

أما العلاقة الثالثة، فيوضحها الزمخشري بقوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان إذا مت لسوف أخرج حياً * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾. يُحتمل أن يُراد بالإنسان الجنس البشري كله أو بعض الجنس وهم الكفرة. إذا جازت إرادة الأناسي جميعاً رغم أن ليس كلهم يقولون ذلك، فإن هذه المقالة موجودة في جنسهم، مما يصح إسنادها إليهم جميعاً كما يُقال "بنو فلان قتلوا فلانا" بينما القاتل فرد منهم[13]

أدرج الزمخشري أنواعاً جديدة للمجاز العقلي، مضيفاً علاقات جديدة لم تكن معروفة سابقاً، مما يُثري الدراسة البلاغية ويوسع من نطاق الفهم اللغوي[14]

بهذا يتضح أن المجاز العقلي يعتمد على استخدام الجمل بطرق تنحرف بالدلالة عن معانيها الحقيقية بناءً على التأويل العقلي والمنطقي، بينما يعتمد المجاز اللغوي على

استخدام الكلمات في غير معانيها الأصلية بناءً على العلاقات اللفظية. كلا النوعين يسهمان في إثراء اللغة وتوسيع دلالاتها من خلال التأويل والتشبيه والنقل من المعنى الأصلي إلى المعنى المجازي.

المبحث الثاني

(المجاز المعرفي عند الغرب:)

مع الدراسات المعاصرة، أصبح من الصعب التحدث عن اللغويات دون مراعاة دور العقل في معالجة اللغة. هذا الارتباط بين اللغة والعقل أدى إلى تسليط الضوء على الأدب من خلال المنظورات الحديثة للغة والعقل. ومن هنا، أصبحت اللغويات المعرفية هي الأداة المثلى لدراسة الأدب، حيث تم دمج النماذج النفسية العقلية المتطورة مع الدراسات اللغوية، مما أنتج نوعاً محسناً من الدراسات الأدبية يُعرف بالشعرية المعرفية، الأدبية المعرفية، البلاغة المعرفية، والنهج المعرفي للأدب. ومن خلال فهمنا الحالي للغة والعقل وتطبيق هذه المعرفة على النماذج الشعرية والأدبية، سواء كانت نصية أو تنظيمية أو تصميمية، تم تشكيل منحنى نقدي حديث يستخدم أدوات معاصرة مثل الاستعارة (المجاز).

ظهرت نظرية الاستعارة المعرفية للتعامل مع الأذهان التي لم يكن تاريخها مؤهلاً للتكيف مع مفاهيم جديدة ومعقدة مثل التجريدات الفلسفية، والدين، والعلوم الاجتماعية. على الرغم من القيود الواضحة، فإن التعامل مع هذه التجريدات غالباً ما يكون ناجحاً. يطرح ستيفن بينكر سؤالاً مهماً: كيف تطور العقل البشري من التفكير في الأشياء البسيطة مثل الصخور والنباتات والأعداء إلى التفكير في الحب والفيزياء والديمقراطية؟ وفقاً لنظرية الاستعارة المعرفية، والمعروفة أيضاً بنظرية الاستعارة المفاهيمية، أصبح من الممكن فهم المفاهيم المجردة من خلال المفاهيم الأكثر واقعية. الاستعارة

موجودة في كل مكان، في الكلام اليومي وفي معظم الجمل التي ننطقها. هذا ما أرسته النظريات الغربية، وهو ما سنتطرق إليه من خلال مؤلفات هؤلاء المنظرين.

المطلب الأول: استعارات الحياة اليومية:

تلعب الاستعارات دوراً محورياً في اللغويات المعرفية، حيث تُظهر ترابطاً عميقاً بين عمليات التفكير البشري واللغة. تتجاوز هذه النظرية وجهات النظر الأرسطية التقليدية التي تعامل الاستعارة كجهاز بلاغي فقط. في هذا السياق، يقترح لايكوف وجونسون نظرية الاستعارة التفاعلية، التي تبرز أن الاستعارات أساسية لفهم العالم، وليست مجرد عناصر أسلوبية في اللغة. يعتبران أن الاستعارات هي أساس جوهري للتجربة الإدراكية، مؤكدين أن الفكر البشري يعتمد بشكل كبير على الاستعارات، التي تشكل إدراكاتنا، مشاعرنا وأفعالنا، وليس فقط تواصلنا. توصلا إلى استنتاج مجموعة من الاستعارات المركزية، وقاما بتصنيفها وفق الرؤى والمنظورات المعرفية.

الفرع الأول: الاستعارات الأنطلوجيّة: ontological metaphor

تجعل هذه الاستعارات من المفاهيم المجرّدة كيانات ماديّة ملموسة أو مواد، تساعد هذه الطّريقة في التعامل مع المفاهيم المعقّدة والمجرّدة بطريقة أكثر وضوحا وفهما.

أمثلة:

- التضخم ككيان: دائما ما نرسم اسقاطات للتضخم على اعتباره شيئا ماديّا يمكن التعامل معه وقياسه
- الأفكار كأشياء: كثيرا ما تصوّر الأفكار كأشياء ملموسة يمكن التعامل معها على اعتبارها ماديّة كقولنا

(لقد أمسكت بالفكرة)، أو (تخلص من الأفكار السلبيّة) وتنقسم الى

- **استعارات الوعاء**: container metaphors

تستخدم هذه الاستعارات لتصوير المساحات أو الكيانات كحاويات يمكن الدخول إليها والخروج منها

أمثلة:

- دخلت فجوة في الغابة: تصور الفجوة كحاوية يمكن الدخول إليها.
- دخلت السفينة مجال رؤيتي: تصور مجال الرؤية كحاوية يمكن الدخول إليها والخروج منها.

  - استعارات التشخيص: Personification Metaphors

تفهم وفقها الكيانات غير البشريّة على أنّها بشريّة، حيث تعطى هذه الكيانات نفس الخصائص والتجارب والصفات البشريّة، هذا ما يساعد في تقريب المفاهيم المجردة إلى التجربة البشريّة، ليصبغها برؤى أكثر وضوحا

أمثلة:

  - هاجم التضخم أسس اقتصادنا
  - ألد أعدائنا هو التضخم

الفرع الثاني: الاستعارات الاتجاهيّة: Orientational Metaphors

تعتمد هذه الاستعارات على الأطر المكانية والوجهات والّتي تستخدم لتصوير حالات أو مفاهيم مجرّدة بطرق مفهومة وسهلة التصوّر

أمثلة:

- السعادة فوق والحزن تحت: تعبر عن حالات شعوريّة مختلفة باستخدام اتجاهات مكانيّة مختلفة.
- الصحة فوق والمرض تحت: تصوّر الصّحة كحالة مرتفعة والمرض كحالة منخفضة.[15]

المطلب الثاني: الشعريّة المعرفيّة والمجاز:

في مناقشته للاستعارة المفاهيمية (المعرفية)، يوضح بيتر ستوكويل أن العديد من التعابير الاستعارية مشتقة مباشرة من التوسعات المجسدة.

الفرع الأول: استعارات الرأس أعلى:

يشير بيتر ستوكويل إلى أن استخداماتنا الاستعارية المتعددة لكلمة "رأس" توضح هذا الأمر بشكل جلي: رئيس الخدم، رئيس الدولة، مدير المدرسة، رأس الطاولة، رأس الطابور، رأس الزهرة، رأس السرير، رأس الممر، رؤوس الأشرطة، بالإضافة إلى التطورات المورفولوجية والنحوية مثل التوجه في الاتجاه الصحيح، على المسار الصحيح، وحتى تداخل هذه الاستخدامات مع مفاهيم مثل رأس المكان، رأس المخطط، والتقدم للأمام، ومشاكل قادمة، والعديد من الاستخدامات الأخرى.

يعيدنا هذا إلى نماذج الصورة التي توضح أن العديد من العناصر الظاهرة حرفياً في اللغة اليومية تنبع من التوجيهات الاستعارية) مثل الاستعارات المكانية في كلمات مثل "down"(أسفل)، "تحت" و "من خلال .(through) "هذه الاستعارات تتجاوز ما يُعتبر تقليدياً استعارات ميتة.

الفرع الثاني: تفريعات استعاريّة أخرى:

بعض الاستعارات المفاهيمية المألوفة قوية جداً وشاملة لدرجة أنها تولد العديد من التعبيرات وتصبح الطريقة "الطبيعية" للتعرف على العالم والتواصل معه. واحدة من أكثرها دراسة هي أن الغضب يُعتبر حرارة، والتي لها استعارتان مفاهيميتان مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً: الغضب كسائل ساخن في حاوية والغضب كنار. تتجلى هذه الاستعارات في أشكال مثل: "تجعل دمي يغلي"، "كانت تغمرها الغضب"، "انفجر غضباً"، "كنت أغلي"، "كنت أحمر غضباً"، "هو شخص سريع الغضب"، "تشعر بالحماس والانزعاج"،

"تنفيس البخار"، "أخرجها من نظامك"، "لديه فتيل قصير"، "يحبس غضبه"، "ثم ظهر كل شيء" والعديد من التعبيرات الأخرى.

بعض الاستعارات المفاهيمية القوية الأخرى التي تلقت الدراسة تشمل:

- الحياة هي رحلة
- الحب هو لعبة
- الفهم هو رؤية
- الطموح هو جوع
- الكلمات هي عملات
- الحرب هي لعبة
- الحرب هي حكاية خرافية
- الحرب هي مرض
- الأفكار هي نباتات
- الشهوة هي جوع
- التواصل هو قناة
- الغضب هو حيوان خطير
- المرور هو النهر
- الجدال رحلة
- الموت مغادرة
- الحب هو الحرب[16]

المطلب الثالث: مجازات هوغن المعرفيّة:

في مقدمة الكتاب، ناقش الكاتب أهمية رواية "يوليسيس" لجيمس جويس، معتبراً إياها واحدة من أعظم الأعمال الأدبية في القرن العشرين. وأكد على أهمية تحليلها ضمن سياقات الدراسات ما بعد الاستعمارية، ومقاومة الاستعمار، والقومية.

يتحدث الكاتب عن الخجل والجمال في الرواية، مشيراً إلى ارتباط الخجل بالجماليات، ويوضح كيف يتفاعل الخجل مع الجمال والعلاقات الاجتماعية. يفسر ذلك من خلال قضايا الهوية والعاطفة، وكيفية تعامل الشخصيات مع مشاعرها والهويات المتغيرة، وكيفية تأثير ذلك على رؤيتهم للعالم. كما يناقش الأساليب الأدبية المستخدمة من قبل جويس مثل التدفق الشعوري والاستبطان.

الفرع الأول: السردية المعرفيّة الواقعيّة والخياليّة:

يركز الكاتب على الكيفية التي استخدم بها جويس التقنيات السردية المعقدة، وكيف عكس تجارب الشخصيات وقصصهم، والطريقة التي تداخل بها الخيال مع الواقع في النصوص، مما يعزز الفهم الداخلي للشخصيات. يُسلط الضوء على الاستعارة في فصل بعنوان "الاستعارة بين الواقع والخيال: سيرس"، حيث يستخدم جويس شخصية سيرس من الأساطير اليونانية، وهي ساحرة تعيش في جزيرة أيبا (Aeaea) وتظهر في قصيدة الأوديسة لهوميروس، وتقوم بتحويل الرجال إلى حيوانات بواسطة السحر.

في "يوليسيس"، يُسلط جويس الضوء على شخصية "سيرس" في جزء يحدث في بيت دعارة، حيث يتداخل الواقع مع الخيال، ويعتبر هذا الجزء من الرواية الأكثر تعقيداً ورمزياً، حيث تتداخل الحقيقة مع الهلوسات والأحلام والتصورات المجازية للشخصيات. يستخدم جويس شخصية سيرس كنموذج لاستكشاف موضوعات السحر والتحول، مركزاً على الأحلام والهلوسات كاستعارات للحياة الداخلية للشخصيات، وخاصة بلوم وستيفن.

الفرع الثاني: تقسيماته الاستعاريّة:

قبعة بلوم: تُستخدم قبعة بلوم في النص كمجاز للهوية الشخصية والتعبير عن الذات. على سبيل المثال، عندما يُرفع بلوم قبعته أو يعيرها لآخر، فإن هذا الفعل يعكس تفاعلاته الشخصية وعلاقته بالعالم الخارجي.

زوي وبلوم: تُظهر علاقة زوي وبلوم تعقيداً يستخدم فيه المجازات لتعزيز التفاعلات بينهما. على سبيل المثال، عندما تطلق زوي على بلوم لقب "بابي"، فإن هذا اللقب يعكس تفاعلها معه بشكل عاطفي وشخصي، مما يضيف عمقاً للشخصيات وللقصة بأكملها.

تفاصيل الشخصيات: يتجاوز جويس التفسيرات اللفظية السطحية ليصف تفاصيل الشخصيات بأسلوب يتضمن المجازات والرموز. على سبيل المثال، عندما يصف بلوم بأنه يرتدي ثياب طفل وبلوزة مع رأس كبير وعينين كبيرتين، ينشئ جويس صورة تجمع بين الواقعية والمجاز في وصفه للشخصية.

الرموز والرمزيات: يستخدم جويس الرموز والرمزيات بشكل مكثف لتوفير تفسيرات أعمق للأحداث والشخصيات. على سبيل المثال، يمكن أن يكون رمز "اليد التي تهز المهد" تمثيلاً للسلطة أو السيطرة، مما يعزز من البعد الرمزي للسرد.

يشير النص إلى أن خيال بلوم وستيفن يشبه الأحلام أكثر من الهلوسة، حيث توفر الأحلام نموذجاً مناسباً لهذه التجارب بسبب طبيعتها غير القابلة للتحكم. يعرض جويس هذا من خلال شخصيات بلوم وستيفن اللتين تعانيان من حالات ذهنية قريبة من النوم، مما يؤدي إلى تجارب تشبه الأحلام بسبب الإرهاق وتناول الكحول.

يقدم النص رؤية للعمليات الإدراكية المعقدة التي تحدث في العقل البشري خارج نطاق التحكم المباشر. يتماشى هذا مع الأبحاث الحديثة في علوم الأعصاب المعرفية التي تشير إلى أن الوعي ليس كياناً واحداً بل مكونياً ومتدرجاً. يعبر جويس عن أن الأحلام والهلوسات تشير إلى مدى تعقيد وتوازي العمليات الإدراكية التي تحدث باستمرار في العقل البشري[17]

المبحث الثالث: المجاز العقلي والمجاز المعرفي الروابط والفروقات:

يعد استخدام التصوير ضرورة لتعزيز المحتوى المكتوب وتسهيل الفهم من خلال ترجمة المفاهيم المجردة إلى أشكال ملموسة وأكثر ارتباطًا. يتميز كل من المجاز العقلي العربي والمجاز المفاهيمي الغربي بقدرتهما على تحقيق ذلك، على الرغم من اختلافاتهما. فهما أداتان بلاغيتان تخدمان أغراضًا أساسية مماثلة، على الرغم من أسسهما النظرية المتنوعة وأنماط عملهما المختلفة.

عند فحص المجاز العقلي والمجاز المعرفي، يتضح أن هدفهما هو تجسيد الأفكار المجردة وجعلها في متناول الجمهور، مما يعزز الفهم والتفسير. في اللغة العربية، يعمل المجاز العقلي من خلال إسناد فعل أو صفة إلى كيان مختلف عن موضوعه الفعلي، بالاعتماد على علاقات مثل المكانية، السببية، الزمانية، أو الجزئية. تستخدم النظرية المعرفية للغة الاستعارة المفاهيمية لتسهيل نقل الفهم بين المجالات المعرفية المختلفة، مما يتيح تصور المفاهيم المجردة من خلال مجالات ملموسة في الحياة اليومية. وعلى الرغم من التشابهات بين هذين النوعين من المجاز، إلا أن هناك اختلافات جوهرية في أساليبهما لتحقيق هذا النقل للفهم، وتتضح هذه الفروق عند النظر في العوامل التالية:

المطلب الأول: علائق المجاز العقلي بالمجاز المعرفي:

عند مقارنة المجاز العقلي العربي والمجاز المعرفي، نجد تقاطعات واضحة تعود في جوهرها إلى العقل من خلال الشرح والتبيين والاستنطاق والاستيضاح. يتجلى ذلك في بعض الأبعاد الإسنادية للمجازين.

الفرع الأول: التجسيد المجازي:

يتفق القدماء والمعاصرون على أهمية المجازات التجسيدية، أشار الصولي (ت 335 هـ) إلى أن هذه المجازات العقليّة تُعد من أفضل أنواع المجاز، مذكراً بمجازات مثل "ماء الملام"، "ماء الصبابة"، و"ماء الهوى"، لتوضيح كيفية تجسيد المعاني العقلية.

يتماشى هذا مع الرؤى التي أوضحها بيتر ستوكويل حول الاستعارات المستمدة من التوسعات المجسدة، مثل كلمة "رأس" واشتقاقاتها: رئيس الخدم، رئيس الدولة، إلخ.

الفرع الثاني: الاستعارات الزمانية والمكانية:

يحلل لايكوف استعارات الزمن في كتابه "أكثر من سبب جيد: دليل ميداني للاستعارة الشعرية(More Than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor) "

موضحاً كيف استكشف شكسبير الزمن في سوناتاته من خلال مجموعة من الاستعارات الزمنية المعرفية.

في السوناتة رقم 12، يصور شكسبير الزمن كقوة مدمرة تهلك كل شيء في طريقها، باستخدام استعارات مثل الزهور الذابلة والأوراق المتساقطة وغروب الشمس لتوضيح التلاشي الحتمي بفعل الزمن. السوناتة رقم 15 تصور الزمن كمفترس للشباب والجمال، مشبهةً النباتات التي تنمو وتزدهر ليتم حصدها في النهاية، مما يعكس الطبيعة العابرة للجمال الجسدي. في السوناتة 16، يقترح شكسبير تحدي الزمن بترك ذرية، مصوراً الزمن كخصم يمكن محاربته من خلال استمرار النسل. السوناتة 19 تصور الزمن كوحش مدمر لا يرحم، متوسلةً إليه لترك الشباب والجمال بعيداً عن قبضته. وأخيراً، تعكس السوناتة 104 ثبات الجمال رغم مرور الزمن، مشيرةً إلى كسر الجمال الحقيقي لسطوة الزمن.[18]

يمكننا مقارنة ما جاء به لايكوف مع مجموعة من المجازات العقلية العربية ذات العلاقات الزمنية. على سبيل المثال، "نهار الزاهد صائم وليله قائم"؛ حيث أُسند الصوم إلى النهار والقيام إلى الليل. في هذا السياق، نجد أن الوصفين "صائم" و"قائم" أُسنِدا إلى غير ما هما له، مما يبرز إسناد الفعل إلى الزمن. وفي قولنا "ضرب الدهر بينهم وفرّق شملهم"، نُسب الفعل إلى الدهر، وهو إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي. وفي القول "ضرسهم الزمان وطحنتهم الأيام"، نُسب الفعلان إلى الأيام، مع أنهما ليسا الفاعلين الحقيقيين فاعلهما.[19]

تتداخل استعارات الزمن كقوة وحاصد ووحش مع المجاز العقلي في السياقات العربية، حيث يُنسب الزمن إلى أفعال ومظاهر لا يتصف بها في الواقع، تماماً كما يُنسب للزمن أفعال ومظاهر تعبّر عن تأثيرات الأحداث والمصائب في حياة الناس. هذا الإسقاط من المجالات المجردة على المجالات المادية الملموسة يساعد في تقديم فهم أوضح وأكثر تصويراً.

في كتاب "الاستعارات التي نحيا بها"، يُشار إلى أن تنظيم استعاراتنا غالباً ما يكون بناءً على استعارات ذات توجه فضائي. كل استعارة فضائية لها نسق داخلي. على سبيل المثال، استعارة "السعادة فوق" تحدد نسقاً متسقاً من الاستعارات. إذا كانت جملة مثل "إنني في القمة" تعني أنني سعيد، فإن جملة "ارتفعت معنوياتي" لا تعني أني حزين. تُجذّر الاستعارات الفضائية في تجربتنا الثقافية والفيزيائية، وليست محض صدفة، حيث تساعدنا في فهم معين بناءً على أساسها في التجربة. ومع ذلك، فإن النسق الشامل للاستعارات يؤثر جزئياً في اختياراتها. مثلاً، السعادة ترتبط فيزيائياً بالابتسامة العريضة، مما يشكل استعارة "السعادة منتشرة"، بينما يُعبّر عن الحزن بالشعور بالضيق.

في المجاز العقلي العربي، نجد أمثلة مثل "امتلأت الساحة بالضحك"، حيث الفعل الحقيقي هو ضحك الناس في الساحة، ولكن أُسند الضحك إلى الساحة مجازاً. كذلك، يُسند الجريان إلى النهر وليس إلى الماء، وهو تصوير استعاري للمساحات المكانية. يُستخدم المجاز العقلي لربط المفاهيم بطرق غير مباشرة، معتمداً على السياق الثقافي والفيزيائي المعروف للمستمع أو القارئ، مما يجعل المعاني أكثر فاعلية وتأثيراً. بهذا الأسلوب، يُبرز المجازان العقليان العربي والمعرفي الغربي قيمة التصوير البلاغي في إثراء اللغة وتوسيع دلالاتها، مع الاستفادة من السياقات الثقافية والفيزيائية لتعزيز الفهم والتواصل

المطلب الثاني: الفروقات بين المجازين:

يسمح تحليل الأمثلة المتناولة في المبحث السابق بفهم أوجه الاختلاف التي يتمحور حولها تصنيف الاستعارات المعرفية والمجازات العقلية. بالرغم من وجود ترابطات وتقاطعات بين المنهجين، إلا أن الاختلافات واضحة بالنظر إلى التصنيفات والخلفيات النظرية لكل منهما.

الفرع الأول: التصنيفات الأوليّة:

تتميز الخلفية الثقافية للمجاز العربي بكونها مستمدة من التراث الأدبي والبلاغة العربية، التي تهتم بالأساليب البيانية والجمالية في اللغة. على النقيض من ذلك، يستند المجاز المعرفي إلى الثقافة الإنجليزية الغربية، ويُعنى بفهم الاستعارات في اللغة اليومية. هذه الاستعارات لا تُستخدم فقط في الأدب والشعر، بل تتوسع لتشمل الفلسفة والحياة اليومية، مما يجعلها أدوات أساسية لفهم الكيفية التي تشكل بها الاستعارات إدراكنا للعالم.

المجاز العقلي يُستخدم بشكل رئيسي في الأدب والشعر لتعزيز الرؤى البلاغية وإحداث تأثير فني وجمالي عميق. يُسهم هذا النوع من المجاز في خلق صور بلاغية تضفي على النصوص الأدبية جمالاً وعمقاً، مما يعزز من قوة التعبير والتأثير على المتلقي. في المقابل، تُستخدم المجازات المعرفية لفهم التجارب الإنسانية بشكل أوسع، بما في ذلك تفسيراتنا للغة اليومية والفكر الفلسفي. هذه المجازات تُعتبر أدوات معرفية تساعد في تجسيد المفاهيم المجردة وتبسيطها لفهم أعمق وأكثر تفاعلاً.

تتباين التطبيقات العملية لكل من المجازين بشكل كبير. المجاز العقلي يركز على الاستخدام البلاغي والجمالي في النصوص الأدبية والدينية، حيث يُسهم في إثراء النصوص وإضفاء طابع فني عليها. بينما يستخدم المجاز المعرفي لفهم وتفسير التجارب الإنسانية المتنوعة، بما يشمل اللغة اليومية والفكر الفلسفي، مما يعزز من فهمنا للمفاهيم المجردة وكيفية تفاعلها مع الواقع اليومي.

الفرع الثاني: جدول التصنيفات:

تتبدى أوجه الاختلاف وفق الأمثلة السابقة بين الاستعارات الاتجاهيّة، والمجاز المعرفي ذو العلاقات المكانيّة في:

الفروقات	الاستعارات الاتجاهيّة	المجاز العقليّ
التعريف	ربط المشاعر أو الصفات بالاتجاهات الفضائيّة	إسناد الفعل أو الوصف إلى غير فاعله الحقيقيّ
الإسناد	إسناد المشاعر أو الصّفات إلى اتّجاهات مكانيّة	إسناد الفعل إلى غير فاعله الحَقِيقيِّ
الغرض	توضيح المشاعر أو الصّفات المجرّدة باستخدام الاتّجاهات	تبسيط المعاني أو توضيحها من خلال إسناد الأفعال أو الأوصاف
الاعتماد	تعتمد على التجربة الحسيّة للفضاء واتجاهاته	تعتمد على التجربة الثقافيةّ والمنطقيّة
التجربة الحسيّة	العلاقات الفضائيّة تصف العواطف وفق التجارب الفيزيائيّة	الفهم وفق علاقات منطقيّة
مثال	أنا في قمّة السعادة	تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

المطلب الثّالث: المعنى الحرفي

هناك من يعتقد أن الحروف في اللغة ليست لها معانٍ مستقلة بذاتها، بل هي مجرد علامات تستخدم لتنظيم الكلام وتنسيقه دون أن تكون مرتبطة بمعانٍ اصطلاحية محددة.

على النقيض، هناك من يرى أن المعنى الحرفي يعادل المعنى الاسمي، ولكن الفرق يكمن في كيفية استخدامها. بمعنى آخر، للحروف معانٍ مستقلة، ولكنها تظهر بطريقة مختلفة عن الأسماء لأنها تعتمد على العلاقة بين الكلمات بدلاً من الإشارة إلى أشياء محددة بذاتها.

الفرع الأوّل: التمييز بين المعاني الاسمية والمعاني الحرفية

يشير المعنى الاسمي إلى شيء محدد ومعروف في الواقع. فعلى سبيل المثال، عندما نقول "سرتُ مِنَ البَصْرَةِ"، نحن نحدد رحلة شخصية حقيقية بدأت من مكان محدد ومعروف. من ناحية أخرى، يعبر المعنى الحرفي عن العلاقة أو الصلة بين المعاني الاسمية دون أن يشير إلى شيء محدد بذاته. فعلى سبيل المثال، عبارة "سر من البصرة" تعبر عن بدء السفر من أي نقطة ابتدائية بشكل عام وغير محدد بشخص معين، مما يوضح أن التركيز هنا يكون على الفعل والعلاقة الزمنية والمكانية دون التعلق بشخص أو شيء محدد.

الفرع الثّاني: المعنى الحرفي عند لايكوف

أ. التعريف: يُعتبر المعنى الحرفي تقليدياً المعنى الأساسي للكلمة أو العبارة، بدون استخدام المجاز أو الزخرفة. يقوم لايكوف بدراسة كيفية تعريف المعنى الحرفي في سياقات مختلفة مثل الدلالة الشكلية واللغة الإدراكية، مما يساهم في فهم أعمق لكيفية عمل المعاني الحرفية في اللغة.

ب. الافتراضات: يُفترض عادةً أن المعاني الحرفية بسيطة وغير معتمدة على السياق، في حين تتميز المعاني المجازية بالتباين والإبداع وتعتمد على السياق لإيصال معناها.

ج. التعبير المجازي: التعبير المجازي هو أسلوب لغوي يستخدم لإيصال المعاني بشكل غير حرفي. يتم ذلك من خلال استخدام كلمات أو عبارات تحمل معانٍ مختلفة عن المعنى الحرفي الأصلي لتلك الكلمات أو العبارات. يُستخدم التعبير المجازي لإضافة الجمال والتعبير الفني إلى النصوص والشعر والأدب، ويعتبر وسيلة فعالة لإبراز المشاعر والأفكار بطرق أكثر تعبيراً وإيحاءً.

د. طبيعة الاستعارات: ليست الاستعارات مجرد تعبيرات لغوية، بل هي أدوات إدراكية تشكل كيفية فهمنا وإدراكنا للعالم. يؤكد لايكوف أن الاستعارات جزء أساسي من التفكير اليومي والنظام المفاهيمي لدينا، وأنها تؤثر بشكل كبير على كيفية تعاملنا مع المفاهيم المجردة.

هـ. نظرية التشبيه الفكري: ينشأ المعنى المجازي من خلال تمثيل الهياكل من مجال واحد (المصدر) إلى آخر (الهدف). على سبيل المثال، تشمل الاستعارة "الزمن هو المال" تمثيل مفهوم المال باستخدام مفهوم الزمن، مما يؤثر على كيفية التعبير وفهم الزمن بطريقة جديدة ومبتكرة.

يتفاعل المعنى الحرفي مع المعنى المجازي في اللغة بطرق متنوعة ومهمة. فقد يكون المعنى الحرفي هو الأساس الذي يتم من خلاله فهم المعنى المجازي، حيث يعتبر المعنى الحرفي نقطة الانطلاق لفهم المعنى المجازي. في بعض الأحيان، قد يكون المعنى الحرفي متناقضاً مع المعنى المجازي، مما يخلق توتراً وتأثيراً قوياً في النص.

علاوة على ذلك، يمكن أن يتفاعل المعنى الحرفي والمعنى المجازي في اللغة من خلال إثراء المعنى وتوسيعه. فعند استخدام التعابير المجازية والرموز اللغوية، يتم إضافة طبقة إضافية من المعنى إلى النص، مما يثري تجربة القارئ ويعزز فهمه للنص بعمق أكبر.

باختصار، التفاعل بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي يعتبر جزءاً أساسياً من اللغة، ويسهم في إغناء وتعميق المعنى في النصوص بطرق متعددة ومتنوعة.

و. تحويل الكلمات إلى خطوط مشوشة: ليس من السهل دائماً التمييز بين المعاني الحرفية والمجازية. يناقش لايكوف كيف يمكن أن تتحول بعض التعابير من مجازية إلى حرفية مع مرور الوقت، وهذا يُعرف بـ "التقليدي."

ز. الاستناد إلى السياق: يعتمد فهم ما إذا كان المعنى حرفياً أم مجازياً عادةً على السياق. قد يكون المعنى حرفياً في سياق معين، ولكنه قد يكون مجازياً في سياق آخر. تعتبر الآثار

على علم اللغة والفلسفة من الجوانب المهمة التي يجب أخذها في الاعتبار. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تؤدي التغيرات في اللغة إلى تغييرات في الفلسفة وطرق التفكير. فعندما يتغير معنى كلمة معينة، يمكن أن يؤدي ذلك إلى تغييرات في الأفكار والمفاهيم المرتبطة بها. وبالمثل، يمكن أن تؤثر الفلسفة على علم اللغة من خلال تحليل الأفكار والمفاهيم وتأثيرها على اللغة واستخدامها في التواصل. لذا، يجب دراسة الآثار على علم اللغة والفلسفة بعناية لفهم العلاقة المتبادلة بينهما وتأثيرهما على بعضهما البعض.

ح. تحليل لغوي: يتحدى لايكوف الرؤى التقليدية في علم اللغة التي تعامل المعاني الحرفية والمجازية على أنها منفصلة تماماً. يشجع عمل لايكوف على نهج متكامل يأخذ في الاعتبار كيفية تأثير الاستعارة على جميع جوانب اللغة، مما يساهم في فهم أعمق وأكثر شمولية للغة.

ط. المنظورات الفلسفية: تطرح الدراسة تساؤلات حول طبيعة المعنى وكيفية تفسير اللغة. تشير إلى أن المعنى ليس خاصية ثابتة للكلمات، بل هو تفاعل ديناميكي بين اللغة والفكر والسياق. يؤكد هذا النهج على أهمية السياق والتفاعل بين اللغة والفكر في فهم المعاني[20]

خاتمة:

يتشابه المجاز العقلي العربي والمجاز المعرفي الغربي في العديد من الجوانب، ولكنهما يختلفان في الأطر الثقافية والفلسفية التي ينطلقان منها. يلعب المجاز في اللغة العربية دوراً أساسياً في تشكيل المعاني وإثراء النصوص الأدبية، في حين يعتمد المجاز المعرفي في الفكر الغربي على الأطر التجريبية والعملية لفهم وتفسير اللغة.

إن تحليل المجاز في كل من الفكرين يساهم في تقديم رؤية شاملة لكيفية تفاعل اللغة مع الفكر والثقافة، ويفتح آفاقاً جديدة لفهم التأثيرات المتبادلة بين اللغويات والفلسفة. من

خلال هذه الدراسة، يمكننا إدراك أهمية الاستعارات والمجاز في تشكيل الفكر الإنساني وتعميق الفهم بين الثقافات المختلفة.

يتشابه المجاز العقلي في اللغة العربية والمجاز المعرفي في الفكر الغربي في العديد من الجوانب اللغوية والفكرية، حيث يساهم كلاهما في إثراء النصوص وتشكيل المعاني. ومع ذلك، يختلفان في الأطر الثقافية والفلسفية التي ينطلق منها كل منهما. يتجذر المجاز العربي في الثقافة والأدب العربي، بينما يعتمد المجاز الغربي على الأطر التجريبية والعملية.

يلعب المجاز دوراً مهماً في تشكيل الفكر الإنساني وتعميق الفهم بين الثقافات المختلفة، مما يبرز أهمية الاستعارات والمجاز في التواصل الثقافي والفكري. يساهم تحليل المجاز في الفكرين العربي والغربي في تقديم رؤية شاملة لكيفية تفاعل اللغة مع الفكر والثقافة، ويفتح آفاقاً جديدة لفهم التأثيرات المتبادلة بين اللغويات والفلسفة.

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة- علم البيان- ، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1958، ص135، 136.

[2]ــ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط2، 1955، ص266

[3] ــ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991ص332

[4] ــ الخطيب القزويني، الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2003، ص205.

[5]ــ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص362

[6] ــ يوسف بن محمد علي الغفيص، شرح القواعد السبع من التدمرية، ج9، المكتبة الشاملة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلاميةhttp://www.shamela.ws ص15.

[7] ــ عبد القاهر جرجاني، أسرار البلاغة، ص 263

[8]ينظر :أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن عليّ السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1 سنة1983، ط2 سنة 1987، ص 393.

[9] ينظر: أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر محمد بن عليّ السكاكي، مفتاح العلوم،ص392

[10] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تح: أبو القاسم محمود، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، ص 70

[11] ــ ينظر: التفتازاني سعد الدين، شروح التلخيص، ج1 ،دار الكتب العلميّة، بيروت، دط، دت، ص 231.

[12] ــ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مؤسسة الهنداوي، المملكة المتحدة، دط، 2017، ص 301.

[13] ــ ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 329.

[14] ــ ينظر: نفسه، ج2، ص582.

[15] ــ جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات الّتي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الاسكندريّة، ط 1 1996، ط2 2009، ص33_53.

[16] _Look :peter stockwell, cognitive poetics, an introduction, taylor and francis group, london, first publiched 2002, p 106_ 118

[17] Look patrick colm hogan , ulysses and the poetics of cognition, new york, first published, 2014, 157- 183.

[18] [18]_ Lakoff, George & Mark Turner,More than Cool Reason ,A Field Guide to Poetic Metaphor, Chicago,University of Chicago Press, 1989 , p 26_ 54

[19] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربيّة– علم البيان–، ص149.

[20] _ Look: George lakoff , the meanings of literal, San Francisco chronicle, march 15,1986.